البندنيجي ومعجمه
« التقفية في اللغة »

الدكتور خليل ابراهيم العطية
كلية الآداب - جامعة البصرة -
العراق

مقدمة

يعد معجم « التقفية في اللغة » لابي بشر ابندنيجي من معجمات القرن الثالث الهجري ، اعتمد فيه مؤلفه نظام التقفية ، ويكون بذلك اول من اهتدى الى هذا النظام الميسر ، ومع انه لم يعتمد في ترتيبه على ما سمي بعدئذ بنظام الباب والفصل بشكله النهائي كما فعل الجوهري فانه كان لتأكيد زيادته في ذلك النظام .

ومن هنا بانّ اثر هذا المعجم من حيث اهميته التاريخية الى جانب قيمته اللغوية لانه اثر من آثار القرن الثالث الهجري .

فمن يكون البندنيجي صاحب هذا المعجم ؟ وما منهج الرجل فيه ؟ وما مصادره ؟

هذا ما نحاول الاجابة عنه في بحثنا الذي سنتناوله على قسمين : الاول نعرف بالرجل وبآثاره وشيوخه وأثرهم فيه ، ونفرد بحثا خاصا بالمعجم ومنهجه .

والثاني : نجلو فيه مصادر المعجم ، واهميته التاريخيه واللغوية وماخذنا عليه .

ولا يسعنا ونحن نكتب هذه المقدمة الا الاشادة بفضل الشيخ حمد الجاسر الذي اكتشف هذا الأثر النفيس ونوه به في مجلته « العرب » ، ثم اعارته لنا نسخته الفريدة المصورة ، والسماح لنا بتحقيقه .

البَنْدنيجـــي :

ابو بشر اليمان بن ابى اليمان البندنيجي (1) ، اصله من العجم الدهاقين . منسوب الى البَنْدنيجين — على لفظ التثنية ، بلد مشهور فى طرف النهروان من ناحية الجبل من اعمال بغداد (2) فى ارض السواد (3) تعرف الآن باسم « مَنْدلي » وهى مركز قضاء باسمها فى محافظة ديالى على مبعدة 93 كلم من شرقي بعقوبة قرب الحدود العراقية الايرانية (4) .

وقد نسب اليها خلق كثير من العلماء فيهم الحافظ والقاضي والاديب واللغوي غير صاحبنا ، لا يذكرون من غير تقييد غيره — فيما وجدت — كما فعل ابو احمد العسكري (5) وابن المعتز (6) وابن الشجري (7) وابو عبيد البكري (8) .

وقد قيّد حاجي خليفة (9) البندنيجي بالبغدادي وجاراه اسماعيل البغدادي وانما اطلق ذلك عليه لإطالته المكث ببغداد فنسب اليها . ويعضد هذا ترجمة محب الدين ابى عبد الله المعروف بابن النجار (10) المتوفى سنة 643 هـ له فى « ذيل بغداد » ومع ضياع معظم أجزاء المصنف المذكور فقد نقل الخوانساري فى « روضاته » ترجمة البندنيجي منه .

نشأتـــه وحياتـــه :

ولد البندنيجى سنة مائتين للهجرة فى البندنيجين ، اكمه لا يرى الدنيا وكانت نشأته بها . وقد لازم ابا الحسن علي بن المغيرة المعروف بالأثرم صاحب ابي عبيدة والاصمعي وحفظ عليه ادباً كثيراً وأشعاراً جمّة ، تعضده ذاكرة حسنة فى الحفظ ، وقد اشار الى ذلك فقال : « حفظت فى مجلس واحد مائة وخمسين بيتاً بغريبه » (11) .

ولا نطمع من مظان ترجمته أن تومىء الى الحديث عن مراحل نشأته ، وحسبنا الاكتفاء بانّ اباه كان ميسوراً خلف له بساتين ومزارع ، باعها وانفقها فى طلب العلم متجهًا صوب بغداد والبصرة وسرَّ من راى فالتقى بعلمائها من بصريين وكوفيين او ممن خلط بين المذهبين .

شُغل البندنيجي فى اول نشأته بطلب العلم فصرفه ذلك عن الاتصال بأعلام العصر ، ولما كان اعنى وليس فى الأعمى كبير غناء للخلفاء يوم كانوا « خلفاء » حقا ، اما وانهم صاروا العوبة بيد الاتراك وغيرهم فانا لا نطمع منه بعد استواء عوده ان يكون على علاقة باحد منهم .

واذا لم يكن البندنيجى على صلة بخلفاء عصره (12) ، فانا نجد له مقطّعة فى مدح ابى احمد عبد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي المتوفى سنة 300 هـ ومنها نرجح صلته به .

---

1) انظر فى مصادر ترجمته : الفهرست (فلوغل 82/1 ومعجم الادباء 56/20 وإنباه الرواة 73/4 ، وتلخيص ابن مكتوم 282 وتجريد الوافي بالوفيات 264 أ وطبقات ابن شهبة 310/2 ونكت الهميان 312 وبغية الوعاة 352/2 وروضات الجنات 745 ومقدمة « معجم التقفية فى اللغة » بتحقيقنا مطبوعات وزارة الاوقاف العراقية بغداد 1976
2) معجم البلدان 292/2 .
3) معجم ما استعجم 281/1 .
4) انظر عن مندلي : مجلة سومر 8 (1952) ص 277 ولغة العرب 7 (1929) ص : 620 والعراق قديما وحديثا (ط. 3) 9 . 2 .
5) المصون 133 .
6) البديع 34 .
7) الحماسة 267 .
8) معجم ما استعجم 281/1 .
9) كشف الظنون 283/2 و 313 و 506 وهدية العارفين 548/2 .
10) ترجمته فى عداد الضائع كما يبدو تنظر مخطوطة الكتاب نسخة باريس 2/31
11) معجم الادباء 56/20 وطبقات ابن شهبة 311/2 ونكت الهميان 313 .
12) عاصر البندنيجي عشرة من خلفاء بنى العباس نخرج منهم المأمون لانه ولد فى مقتبل حكمه والمعتصم لانه لم يزل فى مهده صغيراً .

وكان ابن طاهر اديبا شاعرا « له محل من الادب والتصرف فى فنونه ورواية شعره وقوله ، والعلم باللغة وايام الناس وعلوم الاوائل من الفلاسفة فى الموسيقى والهندسة » (13) وولي الشرطة ببغداد خلافة عن أخيه محمد بن عبد الله (14) .

وكان مجلسه حافلا بعلماء العصر وجلّة القوم وبين أيدينا ما يشير الى اجتماع ابى نصر احمد بن حاتم الباهلي وابن الاعرابي فى احد مجالسه (15) .

اذا عرفنا هذا فليس من الغرابة ان يجتذب مجلس ابن طاهر ابا بشر البندنيجى ، وأن يكون معجبا به ، وان يكثر من مدحه وفيما خلصنا اليه مصداق لقول القفطي فى ابى بشر « كان شاعراً يرتزق بالشعر » (16) فلعله وجد من تشجيع ابن طاهر وعونه وسخائه وما اتصف به من بصر بالشعر وروايته ونظمه (17) ما دفعه الى المزيد من مدحه .

اما وفاة البندنيجى فقد اجمعت المظان التى ترجمت له انها كانت ببغداد سنة 284 هـ .

آثاره وشعره :

تذكر المصادر التى ترجمت للبندنيجى (18) ثلاثةمن الآثار لا تزيد عليها بعضهاذكرها جميعا، واخرى اشارت الى اثنين منها والقليل اكتفى بقوله : « وصنّف كتباً » او « صنف عدّة تصانيف » ايثاراً للايجاز .

اما تلك الآثار فهي :

1 ـ التقفية فى اللغة ـ وسنخصه بدراسة مستقلة .

2 ـ معاني الشعر .

3 ـ العروض .

وأهم ما يلاحظ انه لم يذكر كتابيه : معاني الشعر ، والعروض فى مصنفه « التقفية فى اللغة » داب غيره من المصنفين فلعلهما كانا من أوائل تصانيفه، او لعله لم يجد مسوغاً لذكرهما فى معجمه المذكور .

والبندنيجى شاعر ـ ما فى ذلك شك ـ فقد أشار الى هذه الحقيقة جمهرة ممن ترجموا له كابن النديم وياقوت الحموي وابن مكتوم والسيوطي والخوانساري .

ونستطيع ونحن نقرأ شعره ـ الذى وصل الينا منه قدر ضئيل (19) ـ ان نحكم بجودته ففيه ديباجة حسنة ، لعلها جاءت من ممارسة طويلة فى قرض الشعر وتعاطيه .

شيوخه :

تذكر كتب الطبقات ستة من شيوخ البندنيجىالتقى بهم واخذ العلم عنهم ، فيهم من تلمذ له فى مسقط راسه البندنيجين ، وفيهم من تلمذ له فى البصرة ، وثمة شيوخ آخرون تلمذ لهم فى بغداد وسامراء ، ولا يبعد ان يكون تلمذ لغيرهم من العلماء فانّ كتب الطبقات لا تلتزم بالاحاطة .

وفيما يلى تعريف موجز بهؤلاء العلماء :

---

13) الاغانى 40/9 .
14) وفيات الاعيان 304/2 والبداية والنهاية 119/11 .
15) معجم الادباء 193/2 .
16) انباه الرواة 73/4 .
17) انظر اشعاراً لابن طاهر فى الاغانى 40/9 ـ 48 والديارات 76 و 78 ، 82 ووفيات الأعيان 304/2 وشرح المقامات. 324/1 .
18) انظر هامش (1) .
19) انظر : البديع 34 والمصون 133 وبغية الوعاة352/2 وحماسة ابن الشجري 267 وطبقات ابن شهبة 311/2 ومعجم البلدان 16/2 ومعجم الادباء 311/2 ونكت الهميان 312 ومقدمة « معجم التقفية » بتحقيقنا ببغداد 1976 .

1 — ابو عبد الله محمد بن زياد الاعرابي المتوفى سنة 231 هـ ، وهو احد اعلام الكوفيين ورواتهم المعروفين ، اخذ عن المفضل الضبيّ (20) — وكان زوجا لأمه — والكسائي (21) كما سمع من الاعراب الذين نزلوا ظاهر الكوفة وهم بنو اسد وبنو عقيل كما اخذ عن ابى زياد الكلابى وجماعة من الاعراب مثل : الفضيل وابى المكارم وعجرمة (22) . وكان موصوفا بالورع والصدق .

2 — ابو نصر احمد بن حاتم الباهلي المتوفى سنة 231 هـ .

احد علماء البصرة ، اخذ العلم عن الاصمعي وابى زيد كما روى عن ابى عمرو الشيباني (23) . واكثر صلته كانت بالاصمعي ، وهو راوي كتبه في اللغة وسواها وكان فيه يقول : « لا يصدق عليّ الا ابو نصر » (24) .

3 — الأثرم : ابو الحسن علي بن المغيرة المتوفى سنة 232 هـ (على خلاف) . احد علماء بغداد ورواتها روى عن فصحاء الاعراب (25) وعن ابى عبيدة والاصمعي وروى كتبهما حتى عرف بـ « صاحب الاصمعي وابى عبيدة » .

4 — ابن السكيت : ابو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت المتوفى سنة 244 هـ (على خلاف).

احد من خلط المذهبين ، وان كان أميل الى راى الكوفيين ، اخذ العلم عن أبيه ، وكان يقول : انا اعلم من ابي بالنحو ، وابي أعلم مني بالشعر واللغة » (26) تلمذ للاصمعي وابى عبيدة وابن الاعرابي والفراء وابى الحسن اللحياني كما حكى عن ابى عمرو الشيباني وجماعة من فصحاء الأعراب ممن لقيهم ببغداد (27) .

وقد قتله المتوكل في قصة مشهورة لتشيعه .

5 — الزيادي : ابو اسحق ابراهيم بن سفيان الزيادي ، نسبة الى زياد بن ابيه وكان احد اجداده.

من علماء البصرة ونحاتها ، قرا « الكتاب » على ابى عمر الجرمي (28) وفي خبر آخر على سيبويه(29) ولم يتمه .

وللزيادي شرح على « الكتاب » ذكره ابن النديم وغيره خالفه في مواضع منه (30) وقد روى عن الاصمعي وابى عبيدة وغيرهما وكان اشبه بالاصمعي في معرفته بالشعر وبصره بمعانيه (31) وكان من « اعلم معاصريه معرفة بإخبار ابى زيد » (32) . وتوفي سنة 249 هـ .

6 — الرياشي : ابو الفضل العباس بن الفرج المعروف بالرياشي المتوفي سنة 257 هـ من كبار

---

20) الفهرست 69/1 .
21) معجم الادباء 189/18 وتهذيب اللغة 21/1 .
22) اشارة التعيين 94 وتهذيب اللغة 21/1 .
23) مراتب النحويين 83 ومعجم الادباء 283/2 والمزهر 408/2 .
24) تاريخ بغداد 114/4 وطبقات الزبيدي 198 وإنباه الرواة 36/1 .
25) الفهرست 56/1 .
26) نفسه 72/1 .
27) اشارة التعيين 115 والمزهر 411/2 .
28) طبقات الزبيدي 106 .
29) طبقات ابن شهبة 169/1 .
30) الفهرست 58/1 .
31) معجم الادباء 158/1 — وطبقات ابن شهبة 169/1
32) نور القبس 226 .

نحاة البصرة وعلمائها فى اللغة والرواية وبخاصة عن الاصمعى (33) وكان يحفظ كتبه الى جانب كتب ابى زيد (34) وقرا على ابى عثمان المازني كتاب سيبويه (35) .

وقد جمع الى جانب بصره باللغة والشعر المعرفة بايام العرب ؛ حتى ان اهل البصرة اذا اختلفوا فى شيء قالوا فيه ما قال الرياشي (36) .

اثر شيوخه فيه :

هؤلاء هم شيوخه واهمّ ما نلاحظه فيهم أن منهم الكوفي والبصري . وقد تلمذ هؤلاء للأصمعي وابى عبيدة وابى زيد من اشهر رجال البصرة الى جانب الكسائي والفراء وابى عمرو الشيباني من رجال الكوفة .

واذا تتبعنا اثرهم فى « التقفية فى اللغة » لم نجد لهم ذكرا مباشرا غير ابن الاعرابى وهو الوحيد ممن ذكرهم بين شيوخه . والغريب فى هذه « النقول » انها وردت من غير سماع لانها جاءت فى ضمن اقتباسات البندنيجى عن ابن السكيت .

ولعل السر فى ذلك قدم عهده بالتلمذة لابن الاعرابى فقد كان من أوائل شيوخه (37) .

كما لا يمنع من ان ما تلقاه عنه ، دخل فى ثقافته العامة حتى صار جزءا من ثقافته ، ويبدو هذا جليا فى بعض المسائل التى عالجها « البندنيجي » مخالفا فيها بعض آراء اللغويين مؤيدا راى ابن الاعرابى او قل يتفق رايه مع رايه .

من ذلك ما أورده المصنف فى باب الواو من تعريف (محوة) وهى ريح الشمال ، فقد عرفها بـ (ال) ذاهبا مذهب ابن الاعرابى (38) وكان الاصمعى وابن السكيت (39) وسواهما ينكرون ادخال الالف واللام عليها لان العرب « لم تدخل الالف واللام على المشاهير من المعارف مثل : دجلة وعرفة وذكاء ومحوة لوضوحها واشتهارها والاكتفاء عن تعريفها بعرفان ذاتها » (40) .

ولا يمكن نكران اثر شيوخه فى اثراء محفوظه الشعري فان اهم ما يلاحظ فى معجم « التقفية » كثرة شواهده الشعرية ، وقد نقلنا من قبل قول البندنيجى « حفظت فى مجلس واحد مائة وخمسين بيتا بغريبه » (41) .

ولامراء فى ذلك فقد كان جل شيوخه رواة او تلمذوا لرواة ، فقد كان ابن الاعرابى من رواة الكوفة وتلميذ المفضل الضبى وتلمذ الأثرم للاصمعى وابى عبيدة كما تلمذ الزيادي والرياشي وابو نصر للاصمعى ايضا اما ابن السكيت فقد حكى عن أبى عمرو الشيبانى الذي عمل الكثير من دواوين القبائل (42) الى جانب روايته عن الاصمعى وابى عبيدة وقد عمل الكثير من دواوين الشعراء (43) .

اما اثرهم فى الغريب واللغة والنحو فانه ظاهر بجلاء ، وحسبنا الاشارة الى ان ابا بشر البندنيجى حفظ كتاب « الاجناس الكبير » للاصمعى على ابى نصر (44) ، وكان ابو نصر كما ذكر الازهري : « الحق

---

33) اخبار النحويين 18 ومراتب النحويين 52 ونور القبس 226 .
34) نزهة الالباء 199 ومعجم الادباء 442/12 . الانساب 264 .
35) نور القبس 220 وتاريخ الاسلام 115/16 .
36) طبقات الزبيدي 105 .
37) طبقات ابن شهبة 310/2 وبغية الوعاة 352/2
38) انظر اللسان (محا 139/20)
39) اصلاح المنطق 336 واللسان (محا 139/20)
40) نوادر ابى مسحل 483/2 والمحكم 24/4 ودورة الغواص 43 .
41) معجم الادباء 56/20 ونكت الهميان 313 وطبقات ابن شهبة 311/2 .
42) نزهة الالباء 94 .
43) نور القبس 319 ومحيي الدين توفيق : ابن السكيت اللغوي 120 — 126
44) معجم الادباء 56/20 ونكت الهميان 313 .

بابوابه حروفا سمعها من ابى زيد واتبعه بابواب لابى زيد » (45) ولعل اهتمام ابى بشر بحفظ الاجناس والغريب مدعاة تفكيره بتاليف « التقفية »..

ولقد بان اثر شيوخه ممن قراوا « الكتاب » او درسوا النحو عامة فى معجم « التقفية » كالزيادي والرياشى ، فانا نجد فيه نقولا من الكتاب كما نجد اهتماما بمعالجة بعض المسائل النحوية خالطا بين المذهبين فى تبنيه بعض آراء الفريقين . فقد ذهب مذهب الكوفيين فى (حاشا) بعدها فعلا يتصرف تصرف الفعل . وايد الكوفيين فى عدهم امثال : جذب وجبذ والعميق والمعيق والغضروف والضغروف ونحوها من القلب المكانى وهو عند الكوفيين من القلب ايضا وداخل عند البصريين فى عداد اللهجات (46) .

كما ذهب مذهب بعض أعلام البصريين فى إثبات ياء المنقوص فى حالتي الرفع والجر ، فانا نجده يثبتها فى ثنايا معجمه نحو قوله : « القسر : راعي كان لابن أحمر » (47) او قوله يفسر القُهبة بانها : « لون فيه حمرة وشىء من بياض وليس بصافي»(48) او قوله : « انباجت عليهم بوائج منكرة اي دواهي » (49) .

وانما ذهب مذهب يونس وابى الخطاب الأخفش قال : سيبويه « وحدثنا ابو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته يقول : هذا رامي وغازي اظهروا الوقف حيث صارت فى موضع غير تنوين » (50) وانكر المبرد ذلك (51) . هذا اذا لم تكن من فعل الناسخين .

واهم ما يؤاخذ عليه البندنيجى عدم ذكره شيخه ابن السكيت فقد (سطا) على الكثير من مروياته ، ونقل قدرا صالحا منها من اصلاح المنطق — سياتى بيانه — ومع ذلك فانه استمرا هذه (المرقبة) ولم يتورع فى اغفال اسم شيخه .

تلامذتـــه :

لم أجد مع كثرة البحث والتنقير احدا من رجال الطبقات اشار الى احد ممن روى عنه او تلمذ له .

ومع علمي ان كتب الطبقات لا تلتزم باحصاء تلامذة من تترجم لهم ، فقد شغلني هذا الامر حتى يئست من العثور على احد يفصح عن ذلك لذلك رحت التمس لذلك الاسباب .

لا شك أن معجم « التقفية فى اللغة » انما وصل الينا عن طريق احد تلامذته ، فقد كان الرجل اعمى ، ولابد انه املاه عليه بمفرده او على جمع من التلامذة ، لاننا نجد فى ثناياه امثال : « وانشدنى ابو بشر » او « قال ابو بشر » .

ولعل طلبته كانوا من القلة فلم يشر اليهم احد او لعله لم يبرز منهم احد او لعله لم يتعمد كثيرا للاقراء والتدريس فى عصر تزاحم فيه العلماء وكثروا اذ شغلته امور الكسب والمعاش عن ذلك ، مع غناه فى اول الامر ويعضد هذا ما نقله التنطى من انه كان شاعرا يرتزق .

لعل بعض هذا او كله سبب عدم عثورنا على ذكر لطلبته او لعله سوء حظ لا اكثر ولا اقل .

---

45) تهذيب اللغة 15/1 .
46) ابو جعفر النحاس : شرح المعلقات (رسالة ماجستير) تحقيق احمد خطاب عمر 260 والمزهر 481/2 .
47) معجم التقفية .
48) نفسه 204 .
49) نفسه 250 .
50) الكتاب 288/2 والاشباه والنظائر 259/2 ومفتاح العلوم 40 .
51) المقتضب 134/1 و 354/3 .

التقفية في اللغة
موضوعه ـ منهجه

اما الكتاب فالتقفية في اللغة ، شاء له صاحبه ان يكون معجما « لا غنى لاحد من أهل المعرفة والادب عنه » (52) ، وانما سماه بهذا الاسم لانه مؤلف على القوافي ، وهي نهاية الالفاظ فـ « نظر في الكلام فوجده دائرا على الحروف الثمانية والعشرين الموسومة بالف باتاتا عليها بناء الكلام كله غريبه وفصيحه فهي محيطة بالكلام لانه ما من كلمة الا ولها نهاية الى حرف من هذه الثمانية والعشرين حرفا ».

ثم أعمل فكره في تنفيذ هذا العمل فجمع « ما قدر عليه وادركته معرفته » فلما جمع من ذلك قدرا كبيرا شاء ان يرتبه ابوابا . وتحدث عن ذلك فقال :

« ونظرنا في نهاية الكلام فجمعنا الى كل كلمة ما يشاكلها مما نهايتها كنهاية الاول قبلها من حروف الثمانية والعشرين ثم جعل ذلك على عدد الحروف فاذا جاءت مما يحتاج الى معرفتها من الكتاب نظرت الى آخرها ما هو من هذه الحروف فطلبته في ذلك الباب الذي هي منه فانه يسهل معرفتها ان شاء الله » .

واذاً فمنهج المعجم قائم على ترتيب الالفاظ على وفق نهايتها فاذا اردنا معرفة (السَّقب) التمسناه في باب الباء ، واذا شئنا معرفة (الاقماح) راجعنا باب الحاء ، ومن رغب في فهم معنى (الجفير) رآه في باب الراء ، ولم يدر بخلد المؤلف اتخاذ ترتيب بعينه في ايراد الالفاظ في الباب الواحد .

ارتضى البندنيجي ترتيب نصر بن عاصم (المتوفى سنة 89 هـ) للالفباء ، وهو اول من نقط المصاحف وعشّرها وخمّسها بامر من الحجاج بن يوسف (53) ، وكان موصوفا بحسن الخط واتقانه فجمع بين الحروف المتشابهات مقدما المهمل على المعجم ، ولما وجد ان بعض الحروف متفردة في الرسم (كالهاء والواو) اخّرها .

وكان ترتيب ابي عمرو الشيباني لمعجمه « الجيم » على وفق الترتيب لنصر بن عاصم سببا في تدعيمه ، ثم شارك في انتشاره اهل الحديث للافادة من نظامه .

ولعل ابا عبد الله محمد بن اسماعيل النجاري (المتوفى سنة 256 هـ) من اوائل هؤلاء ، فقد قال في مقدمة « التاريخ الكبير » :

قال ابو عبد الله محمد بن اسماعيل هذه الاسامي وضعت على ا ب ت ث ، وانما بدىء بمحمد من بين حروف ا ب ت ث لحال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا ما فرغ من المحمدين ابتدىء في الالف ثم الباء ثم التاء والثاء . . . »

واذاً فقد ارتضى ابو بشر هذا نظام نصر في ترتيب الحروف فكان معجمه الثاني ـ بعد الجيم ـ في اتخاذه ، ولئن اعتمد ابو عمرو على اوائل الكلمات فقد اعتمد البندنيجي على اواخرها .

قسّم البندنيجي معجمه على وفق الحروف وعدّ باب الالف : مشتملاً على : الالف الممدودة وباب الالفاظ المهموزة وباب الالف المقصورة وسوّغ ذلك قائلاً :

« واول ما ابتدىء في كتابنا هذا الألف لأنها اول الحروف وعلى ذلك جرى امر الناس ثم نؤلفه على تناسقه » .

ولعله فعل ما فعل لهدف تعليمي فعدّ الألف اللينة (المقصورة) والمتحركة (المهموزة) سواء ، فكان همه ترتيب الالفاظ على وفق أواخرها ولم يدر بخلده ان يرتبها على وفق اصولها الواوية او اليائية كما فعل من تلاه كالجوهري مثلا .

ويعتمد الاساس الذي بنى عليه ابو بشر البندنيجي معجمه على (المفردة) ذاتها ، فهي مستقلة لديه عن أخواتها فكان همه جمع الالفاظ المتفقة في الوزن او (الاضاعيل) كما سماها فقد جمع في باب (العين) مثلا الالفاظ الساكنة الوسط امثال :

---

52) النص والذي يليه من مقدمة البندنيجي في معجمه .
53) نقط المصاحف 6 وشرح التصحيف والتحريف 13 .

الذَرْع والقمع والطَبْع والفَرْع وما اشبه وجمع تحت قافية اخرى الالفاظ المتحركة الوسط : كالشَرَع والقَمَع والطَبَع والهزع والفرع وتحت قافية اخرى جمع الفاظ : الربيع والجميع والسريع والسميع والنجيع وما الى ذلك .

وقد سمّى كل مجموعة منها « قافية » ولم يضع لكل قافية ما يشير الى ما يميزها عن سواها من القوافي ، فحسب المحتاج الى مراجعة (الشَرَع) مثلا مراجعة الالفاظ المتحركة العين وعليه تقليب القافية جميعاً بحثاً عن المطلوب لأنه لم يُرتبها ترتيباً هجائياً يوفر على المراجع الجهد ، مما يومىء الى عدم اختمار المسألة في ذهنه .

ويلوح لي أن اعتماد البندنيجي على (المفردة) في معجمه من آثار حفظه للأجناس للأصمعي وغيره ، فقد شاع التأليف بهذا الضرب في القرن الثالث منهم ابو عبيد القاسم بن سلام وغيره .

واننا لنلاحظ في « اجناس » ابن عبيد (54) :

« الآل : آل الشخص والآل : السراب والآل الرجل يشهد بالزور . والآل : الولى » .

وفي موضع آخر منه ايضا : (55) :

القشع : العمود الذي في وسط الفسطاط وقيل : بيت من ادم . والقشع : انجلاء الغيم وغيره . والقشع : الحرباء . والقشع : اسوداد الشيء اذا سود قيل : قد اقشع . والقشع : انقلاع الحي عن المنزل .

وبمثل هذا الاسلوب عالج ابو بشر قوافيّ معجمه، ويمكن أن نتبين هذا في إيراد احدى قوافي باب الالف المهموزة فيه .

قال ابو بشر (56) : « الجباة : وهي خشبة الحذاء . والنباة : الصوت الخفي . والقضاة : فساد العين . والكماة . والبيئة ، يقال : انه لبيئة سوء ، اي بحال سوء . والهيئة . والسَّواة » ...

وفي احدى قوافي الدال ذكر ايضا (57) :

العَبْدة : الأمة . والنجدة : الشجاعة . والوَحدة . والجَدّة . والردة . والمدّة . والجدّة . والجدّة : وهي الخطة في الظهر ظهر الجمل » .

فكما ان كتب الأجناس لا تعير اهتماما لايراد الالفاظ على وفق اي منهج معين او ترتيب واضح فاننا نلمح ذلك في « التقفية في اللغة » فليس ثمة اي ترتيب هجائي في ايراد الالفاظ . ويمكن ملاحظة النماذج التي قدمناها قبل حديثنا هذا من باب الالف المهموزة مثلا فقد اورد الجَبْاة ثم ساق النَبْاة وشتان ما بين الجيم والنون . . .

ولكنه مع ذلك قد يجمع الاجناس المتفقة في مكان واحد كما يلاحظ في المثال الآتي في باب الشين :

« والفراش : البقايا القليلة من الماء والفراش : العظام الرقيقة التي في الراس والفراش : ضرب من الطير يتهافت في النار » .

وفي هذا تعضيد لما ذكرته من قبل بانه تاثر بكتب الأجناس ، فاننا وجدنا فيما اوردنا من نماذج من اجناس ابي عبيد شبيها لها في معجم التقفية .

واكثر عماد البندنيجي على المصدر او اسمه، وقد يعتمد على الجمع ومفرده او المذكر ومؤنثه ، ولم يكن في هذا بدعا فقد سبقه الى ذلك الخليل بن احمد وابو عمرو الشيباني .

ففي العين (58) مثلا نجد في باب العين والفاء (ع ف ، ف ع) :

العفة : الكف عما لا يحل ، ورجل عفيف ، بعف عفة وقوم عفون قال العجاج :

عفّ فلا لاصٍ ولا ملصّ

والعفافة : بقية اللبن في الضرع والعفف : ثمر الطلح .

---

54) الاجناس ص 2 .
55) نفسه ص 6 .
56) التقفية في اللغة (بتحقيقنا بغداد 1976) .
57) نفسه .
58) العين 105/1 .

ولكنه يعتمد احيانا على الفعل ويجعله سبيلا لايراد الفعل او اسم المصدر (59) وقلّ ان نجد ذلك فى معجم « التقفيـة » .

ويمكن ان نلاحظ اعتماد ابى عمرو الشيباني على المنهج ذاته فى ايراد الالفاظ فقد اورد : الأوق ، والأروح ، والأدبة ، والأريض ، والمألوق والأوام فى باب الهمزة من معجم (الجيم) .

ولذلك فإن « التقفية » يعد امتداداً للمعجمات التى سبقته فى هذا الباب .

ذكرنا من قبل أن الاساس الذى اعتمده البندنيجى فى معجمه اعتماده على الالفاظ فاي الالفاظ اراد .

ونبادر الى القول انه اراد الفصيح منها مما يوثق بصحته ، فلم يشأ ايراد الالفاظ المفرقة فى الغرابة احيانا كما اراد ابو عمرو او جمع الغريب وسواه لهدف احصائي كما فعل الخليل .

« هذا الذي قلناه لنا عليه دليل ذكره المؤلف فى مقدمته فقال :

واضفنا الى كل كلمة من كل باب مما يشاكلها من الكلام الفصيح الذي لا يجهله العوام ، ليكون اجمع لما يريده المُرتاد لما وصفناه » .

واذاً فالمعجم الذي بين ايدينا اراد به مؤلفه جمع الفصيح مما كثر استعماله ، وهو المفهوم من كلام (ثعلب) وسواه فى ان مدار الفصاحة « مما يجرى فى كلام الناس وكتبهم » (60) مما كثر استعماله وشاع فى الألسنة .

ويبدو انه اراده معجماً للجمهور ، فهدفه تعليمي « جمع من ذلك ما قدر عليه وبلغه حفظه » واعدّه خصيصا « لأهل الأدب والمعرفة » (61) ولم يرد به العامة ولكنه به انصاف المتعلمين او لعله اراد به الشعراء الخاصة من ذوي الاصول غير العربية .

اما تطلبه للموثوق به من الألفاظ فقد صرح به فى ثنايا معجمه وهو يعلق به على بعض الالفاظ من ذلك ما ورد فى باب الباء : (62)

قال : الشّكب : فرخ الكركي قال ابو بشر : ولم اسمعه من ثقة .

« للبحث صلة »

---

59) نفسه (تقفيع) .
60) انظر الفصيح 3، والبلغه فى اصول اللغة 35 والمزهر 185/1 .
61) مقدمة التقفية .
62) التقفية .